وصايا لأهل الجهاد

أخرجوا أموالكم في سبيل الله يا أهل الجهاد

بقلم الشيخ؛ حمد بن عبد الله الحميدي

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإيمان والتقوى، بالإنفاق في سبيل الله للقيام بالعروة الوثقى، فسمحت نفوسهم ببذل الأموال في سبيله وابتغاء مرضاته وإعلاء كلمته؛ ليحصل لهم الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي يمينه سحّاء الليل والنهار، لا تغيضها نفقة، وأن ما عنده لا ينقص ولا ينفد وما عند خلقه ذاهب وزائل، أمر عباده بالإنفاق ووعدهم بالخُلف والمضاعفة والمغفرة لذنوبهم فقال: {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: (من أنفق نفقة في سبيل الله تضاعف بسبعمائة ضعف)، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته من المهاجرين الذين وُصفوا بقوله: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، فصدّقوا أقوالهم بأفعالهم، هجروا المحبوبات من الأوطان والخلان والأموال، كل ذلك نصرةً لدين الله ورسوله، فاستقبلهم قومٌ فتحوا قلوبهم وبيوتهم، وقاسموهم أموالهم؛ إنهم الأنصار الذين جاء وصفهم في قوله: {وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، فرضي الله عنهم وأرضاهم ومن تبعهم وسلم تسليماً كثيراً مزيداً.

أما بعد:

فإن الله أمر عباده بجهاد عدوه، وكما تجاهد عدوك بنفسك، أوجب الله عليك مجاهدة عدوك بمالك.

قال صلى الله عليه وسلم: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم) [رواه أحمد والنسائي وأبو داود بسندٍ صحيح].

وكل صاحب مال ليس له عذر في ترك الجهاد به، بخلاف الجهاد بالنفس، فإن أصنافاً من الناس معذورون في ترك الجهاد بالنفس، لكنهم ليسوا معذورين في جهاد المال، وهذا مثل الأعرج والأعمى والمريض والمرأة، كما جاءت في ذلك النصوص قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً}، وكما قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزاة، فقال: (إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر).

قال البخاري: (باب من حبسه العذر عن الغزو).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فقال: (إن بالمدينة لرجال ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض).

وكذلك النساء معذورات في الجهاد بالنفس قال تعالى: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ}.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد، قال: (لا؛ لكن أفضل الجهاد حج مبرور) [رواه البخاري].

فهؤلاء معذورون في الجهاد بالنفس، لكن من كان عنده مال فيجب عليه أن يجاهد بماله، وينفقه في سبيل الله؛ لقول الله تعالى: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: (نزلت في النفقة).

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن حذيفة قال: (يعني بترك النفقة في سبيل الله).

وقال ابن عباس عن هذه الآية: (ليس ذلك في القتال، إنما هو في النفقة، أن تمسك عن النفقة في سبيل الله).

قال ابن كثير رحمه الله: (ومضمون الآية؛ الأمر بالإنفاق في سبيل الله، في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده).

قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك؛ الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن، وفيها من المصالح العظيمة الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهية الشرك وأهله، وعلى إقامة دين الله وإعزازه، فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم).

<u>أما من يتخلف عن جهاد النفس أو المال مع القدرة عليها؛</u> فهؤلاء قوم مطبوع على قلوبهم لنفاقهم، وهذا لعدم جهادهم بأموالهم وأنفسهم مع أنهم ربما يدعّون أنهم من أهل الفقه والعلم، وربما يتهمون أهل الجهاد بأنهم جهلة وسفهاء وشباب متحمسون، وهم في حقيقة الأمر منبطحون ومتعايشون ومسالمون للأعداء، وموالون للطواغيت لا يفتون إلا بحسب رغبتهم، فجعلوا علمهم ومنابرهم لسياسة أسيادهم، فقبّح الله عالماً جعل علمه لخدمة عبيد عبّاد الصليب.

وقد حَكَمَ الله على من اتصف بهذه الصفات، وهو أحكم الحاكمين، بأن هؤلاء هم الذين لا يعلمون ولا يفقهون، قال تعالى: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ}، وقال تعالى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}.

فمـــاذا حصل لهـــؤلاء القاعـــدين؟! إلا الطبع على القلـوب، ونفي العلم والفقـه، ووصـفهم بـأنهم تشـبهوا بالنساء، فـأي علم أو فقه عند من يكـون مثل النسـاء في القعـود، فلا عليه إلا أن يخمّر وجهـه، ويُنَشّـأ في الحليـة، ويتجمّل بالحنّـاء في يديه فلو فقهـوا حقيقة الفقه والعلم؛ لم يرضوا لأنفسهم أن تنزل عن منازل الرجال إلى منازل النساء:

أفي السلم أعيارٌ جفاءً وغلظةً وفي الحرب أشباه النساء العوارك

بل يتبجحـون بتخلفهم، ويفرحـون بمقعـدهم وعـدم جهادهم بـالنفس والمـال، قـال تعـالى: {فَـرِحَ الْمُخَلَّفُـونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِـدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُـلْ نَـارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَـانُوا يَفْقَهُـونَ}، فـإذا كـانوا لم يقبلـوا جهـاد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم، وأحبـوا القعـود وفرحوا بذلك، فكيف تريدون هؤلاء أن يناصروا جهادكم؟!

فيا محبي الجهاد؛

قومــوا بالجهــاد بأنفســكم إن اســتطعتم، فــإن لم تسـتطيعوا فلا تنسـوا جهـادكم بالمـال، ولا يغـرنكم هـؤلاء القاعدون وتلبيسهم، فـإن دينكم يؤخذ بـالوحي لا بزخـرف القول.

جـاء في الصـحيحين من حـديث زيد بن خالد الجهـني رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غـزا، ومن خلف غازيـاً في سبيل الله بخير فقد غزا).

قــال البخــاري: (بــاب فضل من جهز غازيــاً أو خلفه بخير).

فو الله إنه لفضل عظيم أن تنـال أجر الغـزاة بشـيء من المــــال، أو تــــؤويهم، وتخلف الغـــــزاة في أهليهم وذراريهم.

فالله... الله يا عباد الله؛

جهـزوا الغـزاة وآووهم وناصـروهم، وأمـدوهم بالمـال والسلاح والعـدة والعتـاد، وهـذا هو عقد المـوالاة والمحبة بين المؤمــنين، قــال تعــالى: {وَالَّذِينَ آمَنُــوا وَهَــاجَرُوا

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، وبيّن أن ذلك من أعظم أسباب مغفرة الذنوب ودخول جنة عدن الذي فيه الفوز العظيم.

وليس هناك تجارة أعظم ربحاً من ذلك، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، فهنا قدم جهاد المال على جهاد النفس؛ لأنه عصب الحرب ومدد الجيش، فبالمال يشترى السلاح وبالمال يجهز الجيش، لأن قوام جهاد النفس بجهاد المال، والتجارة في ذلك ربحها مضمون، ومن الذي نادى إليها؟ من هو أرحم من الوالدة بولدها.

وبيّن أن الدرهم تنفقه في سبيل الله عن سبعمائة، والله يضاعف لمن يشاء، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}، وهذا يدل على أنه خاص بالنفقة في الجهاد وعلى المجاهدين.

قال مكحول عند هذه الآية: (يعني به الإنفاق في الجهاد؛ من رباط الخيل، وإعداد السلاح، وغير ذلك).

وهذا الذي قال فيه قوة، والله أعلم.

أخرج مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لك بها يوم القيامة، سبعمائة ناقة، كلها مخطومة).

نسأل الله لنا ولكم من فضله وأن لا يحرمنا، فإن المحروم من حرم نفسه هذا الخير، ولا يضر إلا نفسه، لأن الله سبحانه لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه عطاء، بل من أنفق نفقة في سبيل الله لا يريد إلا وجهه؛ فإن الله يبشرهم بأنه ليس عليهم خوف ولا حزن في الدنيا من تخويف الطواغيت وتهديدهم لتجميد أرصدتهم أو بسجنهم أو غير ذلك.

فيا أهل الأموال؛

إن من أعظم سلامة دينكم ودنياكم وسبب سعادتكم في الدنيا والآخرة؛ هو إنفاق أموالكم في الجهاد، فبادروا بإخراجها، قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

فالمتصدق المنفق من أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، وأحسنهم خلقاً، فإن للصدقة والإنفاق تأثيرًا عجيبًا في ذهاب همه وغمه، وأما البخيل الممسك فإنه أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأكسفهم بالاً، وأتعبهم قلباً، فكم عذب بسببه، وسجن قلبه في عبوديته له، فما أعظم همه وغمه.

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل البخيل والمتصدق؛ مثل رجلين عليهما جُنّتان من حديد، إذا همّ المتصدق بصدقة اتسعت عليه، حتى تُعفي أثره، وإذا همّ البخيل بصدقة تقلصت عليه، وانضمت يداه إلى تراقيه، وانقبضت كل حلقة إلى صاحبتها)، قال: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فيجهد أن يوسعها فلا يستطيع).

واعلم أيها المسلم؛

أن ما تنفق مخلوفٌ في الدنيا والآخرة، أما في الآخرة؛ فلقوله تعالى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}، وما يحصل من مضاعفة ذلك كما تقدم، وأما في الدنيا فكما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً).

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: (أنفق؛ أنفق عليك)، وقال: (يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار)، قال: (أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض؛ فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع).

واعلم أيها المسلم؛

أن قدوتك وأسوتك في ذلك هو نبيك صلى الله عليه وسلم، فلتكن سيرتك سيرته، وهديك هديه.

قال ابن القيم رحمه الله: (كان صلى الله عليه وسلم أعظمَ الناس صدقةً بما ملكت يدُه، وكان لا يستكثِر شيئاً أعطاه للّه تعالى، ولا يستقلُّه، وكان لا يسألُه أحدٌ شيئاً عنده إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء مَنْ لا يخافُ الفقر، وكان العطاءُ والصدقةُ أحبَّ شيء إليه، وكان سُرورُه وفرحُه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخِذِ بما يأخذه، وكان أجودَ الناس بالخير، يمينه كالرِّيح المرسلة، وكان إذا عرض له مُحتاج، آثره على نفسه، تارةً بطعامه، وتارةً بلباسه.

وكان يُنوِّع في أصناف عطائه وصدقته، فتارةً بالهبة، وتارةً بالصدقة، وتارةً بالهدية، وتارةً بشراءِ الشيء ثم يُعطي البائع الثمن والسِّلعة جميعاً، كما فعل ببعير جابر وتارة كان يقترض الشيء، فيرد أكثر منه، وأفضل وأكبر، ويشترى الشيء، فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهديَّة و يُكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطفاً وتنوُّعاً في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقتُه وإحسانُه بما يملكه، وبحاله، وبقوله، فيُخْرِجُ ما عنده، ويأمُرُ بالصدقة، ويحضُّ عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيلُ الشحيح، دعاه حالُه إلى البذل والعطاء، وكان مَنْ خالطَه وصَحِبه، ورأى هَدْيَه لا يملِكُ نفسه من السماحة والنَّدى) أهـ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كان لي مثل أحد ذهباً، لسرَّني أن لا تمر علي ثلاث ليال وعندي منه شيءٌ إلا شيئاً أرصده لدين) [متفق عليه].

قال عمرو بن الحارث يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة) [رواه البخاري].

إذاً أنفق ولا تخش من القلة أياً كانت هذه النفقة، فابذل الوسع ولوكان قليلاً، فإن مما يغيظ عدوك إنفاقك في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، قال تعالى: {وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ

لِيَجْـزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَـنَ مَا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ}، فلا تحقر شـيئاً تنفقه في سبيل الله.

ففي الصحيحين عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صـلى الله عليه وسـلم قـال: (اتقـوا النـار ولو بشق تمرة).

وإن من ينفق على المجاهـدين في حـال ضـعفهم، أعظم أجـراً ممن ينفق عليهم في حـال قـوتهم، وتأييد النـاس لهم، قـال تعـالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُـوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِـيرَاثُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْـتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْـلِ الْفَتْحِ وَقَاتَـلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَـةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْـدُ وَقَـاتَلُوا وَكُلّاً وَعَـدَ اللَّهُ الْحُسْـنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

وكذلك ليُعلم؛ بأن أهل الإيمان لا يعتذرون عن الجهـاد بـالأموال والأنفس مهما بلغت الحـال، بخلاف الخوالف فربما يتعذر أحدهم بالخوف أو عدم الاستطاعة أو مما هو ليس عذراً، قال تعالى في وصف المؤمنين: {لا يَسْـتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ أَنْ يُجَاهِـدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِـالْمُتَّقِينَ}، وهـذا حـال المؤمـنين الصادقين، قال تعـالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ آمَنُـوا بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَـابُوا وَجَاهَـدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}.

فيا أهل الجهاد؛

أنفقوا أمـوالكم في سـبيل الله ولا تنظـروا لتهديـدات شياطين الإنس والجن وتخويفهم، قال تعـالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّـيْطَانُ يُخَـوِّفُ أَوْلِيَـاءَهُ فَلا تَخَـافُوهُمْ وَخَـافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

ولربما يخوفك بأنك إذا أنفقت سـتكون فقـيراً، فلا تنظر لما يعـدك به من الفقر، قـال تعـالى: {الشَّـيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِـدُكُمْ مَغْفِـرَةً مِنْـهُ وَفَضْـلاً وَاللَّهُ وَاسِـعٌ عَلِيمٌ}، فمن تجيب، أتجيب داعي الشيطان؟! لتكـون معه، قـال تعـالى: {إِنَّمَا يَـدْعُو حِزْبَـهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

أما علمت بأن أعداءك ينفقون أموالاً عظيمةً لقتالك، وصدك عن دينـك، ونشر الفسـاد في الأرض، فـانظر كيف ينفقونها وهم يعلمون بأنهم صـادرون إلى النـار، وأنت أيها المسلم؛ تبخل أن تجاهد بمالك نُصـرة لـدينك ودفاعـاً عن

نفسك ومالك وعرضك، قــال تعــالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَــرُوا يُنْفِقُــونَ أَمْــوَالَهُمْ لِيَصُــدُّوا عَنْ سَــبِيلِ اللَّهِ فَسَــيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُــونُ عَلَيْهِمْ حَسْــرَةً ثُمَّ يُغْلَبُــونَ وَالَّذِينَ كَفَــرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}.

أم تجيب داعي الله الــذي وعــدك إذا أنفقت بمغفــرةٍ منــهُ وفضــلٍ، وأخــبر أنه واسع عليم، واسع العطــاء عظيم الإحسان إذاً ها أنت الآن تدعى للجهاد بالمال والنفقة في سبيل الله، وتجهيز الغزاة، فهل تستجيب؟

أم تبخل، فيرجع بخلك على نفسك والله الغــني وأنتم الفقراء، قــال تعــالى: {هَا أَنْتُمْ هَــؤُلاءِ تُــدْعَوْنَ لِتُنْفِقُــوا فِي سَــبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَــلُ وَمَنْ يَبْخَــلْ فَإِنَّمَا يَبْخَــلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمــاً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُــوا أَمْثَــالَكُمْ}، واعلم؛ أن من يبخل بماله فسيُعذب به في الــدنيا والآخــرة، كما هو حــال المنــافقين، قال تعالى: {وَلا تُعْجِبْــكَ أَمْــوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيــدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}.

لئن كانت الأرزاق قسماً مقدراً ... فقلة حرص المرء في الرزق أجملُ
وإن كانت الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخلُ
وإن كانت الدنيا تُعدُّ نفيسة ... فقدر ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن كانت الأبدان للموت أنشِئتْ ... فقتل امرئ في الله بالسيف أجملُ

إذا علم ذلك؛ فهل يُغبط الممسك للمــال غــير المنفق له؟ بل هذا سببُ تعاسته وشقاوته.

قال صلى الله عليه وســلم: (تعس عبد الــدينار و عبد الـــدرهم وعبد الخميصـــة، إن أعطي رضي وإن لم يُعــطَ سَــــخِط، تعس وانتكس وإذا شــــيك فلا انتقش) [رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه].

بل يعــذب ويُمَثَّلُ له شــجاع أقــرع ويطوّقــون ذلك في أعناقهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قــال رســول الله صلى الله عليه وسلم: (من آتاه الله مالاً فلم يُــؤدِّ زكاتــه، مُثِّل له يوم القيامة شجاع أقــرع له زبيبتــان، يُطَوَّقُــهُ يــوم القيامة، ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْــهِ - يعــني شــدقيه - ثم يقــول: أنا

مالك، أنا كنزك)، ثم تلا هذه الآية: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [رواه البخاري].

وهكذا كل من قدم شيئًا على طاعة الله عُذب به، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ}.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جَنْبُهُ وجَبِيْنُهُ وظَهْرُهُ، كلّما رُدّتْ أعيدت له، في يوم كان مقداره ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار) [رواه مسلم].

وأخرج أبو موسى المديني بإسناده في "الترغيب والترهيب"، قال: (دخلت امرأةٌ على عائشة قد شُلّت يدُها فقالت: يا أم المؤمنين، بتُّ البارحة صحيحة اليد فأصبحت شلاّء! قالت عائشة: وما ذاك؟ قالت: كان لي أبوان موسِران، كان أبي يعطي الزكاة ويقري الضيف ويعطي السائل ولا يحقر من الخير شيئاً إلاّ فعله، وكانت أمي امرأة بخيلة ممسكة، لا تصنع في مالها خيراً، فمات أبي ثم ماتت أمي بعده بشهرين، فرأيت البارحة في منامي أبي وعليه ثوبان أصفران، بين يديه نهرٌ جارٍ، قالت: يا أبه ما هذا؟ قال: يا بنيه، من يعمل في هذه الدنيا خيراً يره، هذا أعطانيه الله تعالى، قالت: فما فعلت أمي؟ قال: وقد ماتت أمك؟! قلت: نعم، قال: هيهات؟ عدلت عنّا، فاذهبي فالتمسيها ذات الشمال، فملت عن شمالي، فإذا أنا بأمي قائمة عريانة متزرة بخرقة، بيدها شُحيمة تنادي: والهفاه، واحسرتاه، واعطشاه، فإذا بلغها الجهد دلكت تلك الشُحيمة براحتها ثم لحستها، وإذا بين يديها نهرٌ جارٍ، قلت: يا أماه ما لك تناديت العطش وبين يديك نهرٌ جارٍ؟! قالت: لا أترك أن أشرب منه، قلت: أفلا أسقيك؟ قالت: وددت أنك فعلت، فغرفت لها غرفة فسقيتها، فلمَّا شربت نادى منادٍ من ذات اليمين: ألا من سقى هذه المرأة شُلّت يمينه مرتين، فأصبحتُ شلاّء اليمين، لا أستطيع ان أعمل بيميني، قالت لها عائشة: وعَرَفْتِ الخرقة؟ قالت: نعم يا أمَّ المؤمنين، وهي التي

رأيتها عليها، ما رأيت أمي تصدَّقت بشيءٍ قط، إلا أن أبي نحر ذات يوم ثوراً، فجاء سائل فعمدت أمي إلى عظم عليه شُحيمةً فناولتها إياه، وما رأيتها تصدّقت بشيء إلا أن سائلاً جاء يسأل، فعمدت أمي إلى خرقة فناولتها إياه، فكبّرت عائشة رضي الله عنها وقالت: صدق الله وبلّغ رسوله صلى الله عليه وسلم {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}) [وحسن إسناده ابن رجب].

إذاً لا يغبط إلا من أنفق ماله بالليل والنهار في السر والعلانية؛ يبتغي بذلك وجه الله، فهذا هو الذي يمدح صاحبه فهنيئاً والله لهذا الجنس من الناس، فأموالهم مخلوفة؛ "ما نقص مال من صدقة"، وأجورهم مكتوبة، ودرجاتهم مرفوعة كروبهم مفروجة، لا همٌّ عليهم ولا غم، آمنون إذا خاف الناس فرحون إذا حزن الناس، قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما الأحاديث؛

فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا حسد إلا على اثنتين، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار) [رواه البخاري ومسلم].

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً يُهْلِكُهُ في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل).

وهذا الذي تنافس فيه الصحابة والتابعون وسلف الأمة رحمة الله عليهم أجمعين اقتداءً برسول الرحمة

صلى الله عليه وسلم، علموا أنه لا يبقى لهم إلا ما قـدّموا فحرصوا على تقديمه لهم.

في الصـــحيحين عن أبي هريـــرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تصدق بعـدل تمـرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينـه، ثم يُرَبّيها لصـاحبها كما يـربي أحـدكم فلـوّه، حـتى تكون مثل الجبل).

وعن عبد الله ابن مسـعود رضي الله عنه قـال: قـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم: (أيكم مـال وارثه أحب إليه من ماله؟)، قالوا: يا رسول الله، ما منا أحـدٌ إلا ماله أحب إليه، قال: (فإن ماله ما قـدم، ومـال وارثه ما أخـر) [رواه البخاري].

وهذا الـذي جـاء من فعله صـلى الله عليه وسـلم عن عائشة رضي الله عنها؛ أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي صلى الله عليه وسـلم: (ما بقي منهـا؟)، قـالت: ما بقي منها إلا كتفهـــا، قـــال: (بقي كلها غـــير كتفهـــا) [رواه الترمـــذي وصححه].

وهكذا من بعده رضي الله عنهم وأرضاهم، لمّا علموا هذه المعاني؛ بادروا بذلك وتنافسوا.

روى أبو داود بسـند جيد عن عمر بن الخطـاب رضي الله عنه قـال: (أمرنا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يومـاً أن نتصـدق، فوافق ذلك مـالاً عنـدي، فقلت: اليـوم أسبق أبا بكر إن سَبَقْتُهُ يومـاً فجئت بنصف مـالي، فقـال رســول الله صــلى الله عليه وســلم: ما أبقيت لأهلــك؟ فقلت مثلـــه، قـــال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنــده، فقـال له رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: ما أبقيت لأهلك، قـــال: أبقيت لهم الله ورســـوله، قلت: لا أسابقك إلى شيءٍ أبداً).

وهـــذا عثمـــان بن عفـــان رضي الله عنه يجهز جيش العسرة، فقال له النـبي صـلى الله عليه وسـلم: (ما ضـرّ عثمان ما فعل بعد اليوم) [رواه الترمذي].

وجــاء عند النســائي أنه قــال للصَّــحابة وفيهم علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص: (أتعلمون أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم نظر في وجـوه القـوم فقـال: من يجهز هـــؤلاء غفر الله له - يعـــني جيش العســـرة -

فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقـالاً ولا خطامـاً فقـالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد! اللهم اشهد! اللهم اشهد!).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قـال: (كـان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكـان أحب أمواله إليه بَيْرُحاءُ، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يـدخلها، ويشـرب من مـاء فيها طيب)، قال أنس: (فلما أنزلت هذه الآية: {لَنْ تَنَالُوا الْبِـرَّ حَتَّى تُنْفِقُـوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، قـام أبو طلحة إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبـارك وتعالى يقـول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِـرَّ حَتَّى تُنْفِقُـوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وإن أحب أموالي إلي بَيْرُحاءُ، وإنها صدقة للــه، أرجو برها وذخرها عند اللــه، فضـعها يا رسـول الله حيث أراك الله، قـال: فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سـمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقـال أبو طلحـة: أفعل يا رسـول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه).

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حـائطي بهـا، فـأمُرْهُ أن يُعْطِيَـني حـتى أقيم حـائطي بها، فقــال له النــبي صــلى الله عليه وسـلم: (أعطه إياها بنخلــةٍ في الجنة)، فــأبى، فأتــاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي، ففعـل، فـأتى النـبي صلى الله عليه وسـلم فقـال: يارسـول الله إني قد ابتعت النخلة بحـائطي، قـال: فاجْعلها له فقد أعطيتكهـا، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كم من عِذْقٍ رَاحَ لأبي الدّحْـدَاح في الجنــة)، قالها مــراراً... قــال: فـأتى امرأته فقـال: يا أمَّ الدّحْـداح اخْـرُجي من الحائط فـإني قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع - أو كلمة تشبهها -.

<u>واعلم أيها المسلم؛</u>

أن من أعظم القربـات هو بـذل الأمـوال للمجاهـدين في سـبيل اللــه، والنفقة في ذلك تضـاعف ما لا يضـاعف في غيرها - كما تقدم -

وجــاء عن خــريم بن فاتك رضي الله عنه قـال: قـال رســول الله صــلى الله عليه وســلم: (من أنفق نفقة في سبيل الله تضعف بسبعمائة ضـعف) [رواه أحمد وابن أبي شـيبة والنسـائي والترمـذي بسـند جيـد، وقد بـوب عليه الترمـذي والنسـائي بـاب فضل النفقة في سـبيل الله في كتاب الجهاد من سننهما].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب: أي فُلّ هَلُمّ)، قال أبو بكر يارسول الله! ذاك الذي لا تَوْىً أو تؤي عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأرجوا أن تكون منهم).

قال البخاري في كتاب الجهاد: (باب فضل النفقة في سبيل الله).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل دينار ينفقه الرجل؛ دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله) [رواه مسلم].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله وطروقة فحل في سبيل الله) [رواه الترمذي وصححه، وفي الباب عن عدي ابن حاتم].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لأن أُمَتّع - أي أجهّز - بسوط في سبيل الله أحب إلي من حجة في إثر حجة) [رواه ابن المبارك وابن أبي شيبة بإسناد لا بأس به].

روى أحمد والترمذي عن أبي حبيبة الطائي رضي الله عنه قال: (أوصى إلي أخي بطائفة من ماله، فلقيت أبا الدرداء، فقلت: إن أخي أوصى إلي بطائفة من ماله، فأين ترى لي وضعه في الفقراء أو المساكين أو المجاهدين في سبيل الله؟ فقال: أما أنا فلو كنت لم أعْدِلْ بالمجاهدين) [وقد صححه الترمذي].

بل أفضل ما تُصْرف فيه الأوقاف والوصايا؛ هو للمجاهدين والغزاة، وخاصةً الذين في الثغور والرباط.

وهذا ولله الحمد قريباً منكم يا أهل الجزيرة، فالجهاد في الجزيرة قام لإعلاء كلمة الله وتطهير الجزيرة من أعداء الله، سواءً من الصليبيين أو من سائر الكفرة والمرتدين، فناصروهم وآووهم وأمدوهم بالأموال والسيارات والأسلحة واخلفوهم في أهليهم وافتحوا بيوتكم إذا احتاجوا لذلك.

اللهم اجعلنا ممن يبـــذلون نفوســـهم وأمـــوالهم في سبيلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

عن مجلة صوت الجهاد
العدد السادس والعشرون، 1425 هـ

